لماذا استقال نكسون ؟!..

تتمة المنشور ص – ١

المسألة ، اذن ، ليست مسالة « ووترغيت » برغم اهميتها ٠٠ وبرغم ما اثارته من ضجة كبيرة في اجهزة الاعلام الاميركية والعالمية

في بلد كالولايات المتحدة الاميركية تحكم فيه اكثر المؤسسات الرأسمالية شراهة ووحشية في العالم ، وتتوثق فيه العلاقة بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة الرأسمالية الى حد لا يقل عما كانت عليه في المؤسسة النازية الهتلرية ، وتمتلك فيه اجهزة المخابرات سلطات لا حدود لها حتى ان رئيس مكتب التحقيقات الفدرالي السابق ، ادغار هوفر ، بقي عشرات السنين في منصبه دون ان يجرؤ على تغييره أي رئيس اميركي ، ولم يغادر ذلك المنصب حتى غادر الحياة ٠٠ وفي بلد تمتلك فيه الصهيونية اخطبوطا خطيرا من العلاقات ومراكز القوة والتأثير ٠٠ في اميركا هذه يجب ان نتوقع احداثا وتصرفات ومواقف لا تقاس بالمقاييس الجارية في بلدان اخرى من العالم ٠ فبسبب موقعها الخطير جداً كزعيمة للامبريالية والرأسمالية العالمية ، وبسبب انغماسها العميق في الجرائم الوحشية ضد الشعوب ، كما حدث ويحدث في كوريا وفيتنام وفلسطين وكمبوديا وبعض اقطار اميركا اللاتينية ، وبسبب التطورات والموازنات الدقيقة والخطرة في الاوضاع العالمية وفي اوضاع المناطق الحساسة بالنسبة للمصالح والستراتيجية الاميركية ، تبرز على السطح ، بين الاونة والاخرى ، في السياسة الاميركية «اختبارات» تتمثل في اشخاص يتولون المسؤولية ، تهدف المؤسسات الحاكمة او بعض اطرافها من وراء مجيئهم واعلانهم عن سياسات ومواقف معينة تمرير مرحلة ، او تجاوز أزمة ، او اكتشاف طرق جديدة لضمان المصالح والاطماع الاميركية ٠٠ حتى اذا ما أدوا مهمتهم تلك ، عمدت تلك المؤسسات او بعض اطرافها الى التخلص منهم بشكل او بآخر ٠

والمتتبع لمسيرة السياسة الاميركية بعد الحرب العالمية الثانية ٠٠ أي منذ ان اصبحت زعيمة الامبريالية والرأسمالية العالمية يجد ان بين الرؤساء الاميركيين الخمسة الذين تعاقبوا على الحكم منذ ذلك الوقت وهم ترومان وايزنهاور وكنيدي وجونسون ونكسون كان هناك اثنان فقط هما كنيدي ونكسون اتبعا خطوطا « غير تقليدية » في السياسة ٠٠ أي إنهما حاولا القيام باختبارات جديدة ٠٠ ونجد ان اولهما قد اغتيل وثانيهما اجبر على الاستقالة !!٠٠

ولا يعني ذلك اطلاقا ان كنيدي ونكسون كانا رئيسين مختلفين في الطبيعة والنوايا عن المؤسسات الحاكمة في اميركا ٠٠ بل على العكس فانهما كانا وقبل تحملهما المسؤولية واثناءها من صلب تلك المؤسسات ومن أخلص خدمها ، وانهما كانا اثناء المرحلة الاولى من رئاستيهما يحظيان بتأييدها الواسع ، ولكنهما جاءا في ظروف اضطرت فيها المؤسسات الحاكمة الى اجراء اختبارات في سياساتها ، ثم اصبحا ضحية تلك الاختبارات ! ٠

وبالنسبة لسقوط نكسون فانه ، وكما قدرنا في وقت مبكر ، كان نتيجة متوقعة لاختبارين اساسيين في السياسة الاميركية ٠٠ اولهما يتعلق بالعلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، أو ما يسمى بالوفاق الدولي ، وثانيهما يتعلق بالمنطقة العربية ٠٠

في يوم ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣ جرى في بغداد لقاء هام مع مسؤول كبير في دولة صديقة ٠٠ وفي ذلك اللقاء قيل للمسؤول الكبير :

« ان ضغط الاتحاد السوفيتي على نكسون ، وفي ضوء الاعتبارات الدولية المعروفة لدى الطرفين ، أوقف الحرب عند مؤشراتها العسكرية القائمة ٠ ولكننا نعتقد انه ليس هناك ما يمنع الصهيونية العالمية ، وفي الولايات المتحدة بشكل خاص ، من ان تعيد النظر في نكسون ، في وقت لاحق ، اذا ما استنفدت اغراضها منه ، وعلى وجه التحديد ، اذا ما وجدت الصهيونية داخل اميركا ان الاعتبارات الناشئة في سياسة الولايات المتحدة ، نتيجة لقاءات نكسون بيريجنيف ، تجعل اميركا تلقي بثقل معين على اسرائيل ،لكي لا تتوسع في الاراضي وتفرض عليها حدودا امنة ، فأن بامكان الصهيونية ان تتصرف مع نكسون بحيث تجعل منه « مرحلة » في سياسة الولايات المتحدة ٠ ان الصهيونية قادرة على ازاحة نكسون اذا ما ارادت ، وذلك بتاثيرها ونفوذها في داخل الولايات المتحدة : واذا ما اعتبر نكسون في حكم المنتهي تكون الصهيونية ، عمليا ، قد وفرت للسياسة الاميركية فرصة للتخلص من الالتزامات التي تعهد بها نكسون امام بريجنيف ٠

الصهيونية في اميركا متمكنة ٠٠ ولها صلات وطيدة مع الكيان الصهيوني وكذلك الصهيونية العالمية ٠ واللقاء الذي جرى بين بريجنيف ونكسون ادى الى ان تجد الولايات المتحدة نفسها ملزمة ، امام اعتبارات ادبية ، نتيجة لثقل المباحثات والاتفاقات التي جرت بين بريجنيف ونكسون ٠٠ لكي تضغط على اسرائيل بالقدر الذي اشرتم اليه ٠٠ ولكن عندما يصبح نكسون مجرد مواطن اميركي ، فهل يبقى الالتزام الادبي بنفس القوة على البيت الابيض ؟! ٠٠ » ٠

ان الاختبارين المذكورين في السياسة الاميركية اللذين مثلهما نكسون (الوفاق والموقف من قضية الشرق الاوسط) قد فرضتهما ظروف واعتبارات معينة ، ولكن هذين الاختبارين لم يكونا « سياسة اميركية » متكاملة وثابتة ٠٠

ان للاختبار المتمثل باللقاء مع الاتحاد السوفيتي او ما يسمى بـ « الوفاق الدولي » أسبابه ودوافعه الاساسية المعروفة ، واهم هذه الاسباب ان كلا من الدولتين مقتنع باستحالة الحرب المباشرة بينهما ٠٠ وكما بينا في التقرير الذي أقرته القيادة القطرية للحزب في منتصف تشرين الثاني ١٩٧٢ ، وفي سلسلة مقالات جريدة الثورة المعنونة « المنطقة ٠٠ ماذا والى أين ؟ » والتي نشرت في الاشهر الاولى من عام ١٩٧٣ ، فانه بالرغم من الاقتناع المشترك باستحالة الحرب المباشرة الا ان كلا من الدولتين الكبيرتين كان يضع في الاعتبار مسالة « الحرب بالنيابة » ، أي الحرب او الصراع الذي يقوم بين جهات تدعمها هذه الدولة الكبيرة أو تلك في سبيل احتلال مواقع اكثر تقدما ٠٠ وقد اعطت الحرب الهندية – الباكستانية في نهاية عام ١٩٧١ ، ومن قبلها حرب حزيران ، والانقلاب العسكري في تشيلي ، واخيرا احداث قبرص الدليل على صحة ذلك ٠٠

ويعني هذا ان الوفاق لا ينفي الصراع ٠٠ وهنا تبرز الاجتهادات المختلفة في المؤسسات الحاكمة في اميركا حول مدى هذا الصراع وحجمه وكيفية ادارته وتوقيته ، وغير ذلك من المسائل ٠٠

لذلك كنا نجد معارضة شديدة للمدى والحجم والكيفية والادارة التي مثلتها قيادة نكسون لمسالة الوفاق الدولي في المؤسسات الاميركية الحاكمة ٠ فالمؤسسات الرأسمالية – العسكرية في اميركا برغم اقتناعها باستحالة الحرب المباشرة لايمكن ان ترضى بسياسة وفاق كاملة وشاملة ، بحيث تقلل ، الى حد كبير جدا ، من فرص اثارة الحروب والصراعات الصغيرة التي تعزز من مواقعها داخل اميركا وتزيد من ارباحها الفاحشة التي تجنيها من عملية سباق التسلح ومن انتاج الاسلحة المستخدمة في الحروب والصدامات الصغيرة ٠٠

واذا كانت قد رضيت بالاختبار الذي اجراه نكسون والذي كان من اسبابه بالاضافة الى ما ذكرنا الاوضاع في اوربا التي ادت الى مزيد من استقلاليتها عن اميركا والهزائم الاميركية المتتالية في فيتنام ، فان هذه المؤسسة كانت بالتاكيد تبحث عن فرصتها السانحة لاعادة صياغة سياسة الوفاق بالشكل الذي لا يقلل من نفوذها ومن ارباحها ٠ والى جانب المؤسسة الرأسمالية – العسكرية الاميركية فان المؤسسة الصهيونية قد وجدت في سياسة الوفاق وبخاصة بعد حرب تشرين خطرا اخر ، اضافة الى تحفظاتها السابقة عليها ٠٠ ان سياسة الوفاق ، اصلا تثير القلق والشك لدى المؤسسة الصهيونية ، لما يمكن ان يترتب عليها من نتائج على الصراع العربي الصهيوني وعلى اطماع اسرائيل التوسعية ٠

وكما قيل للمسؤول الكبير في الدولة الصديقة فان سياسة الوفاق كانت تفرض على اميركا التزامات تضطرها الى السعي ، بشكل من الاشكال الى الحد نسبيا ، من اطماع « اسرائيل » التوسعية في المنطقة العربية ٠٠

وخلال السنوات الماضية كانت القوى الصهيونية في داخل اميركا تثير العراقيل امام سياسة الوفاق كما فعلت بالنسبة للاتفاقات الاقتصادية بين اميركا والاتحاد السوفيتي ، والتي سعت الى ان تجعلها مشروطة بموافقة الاتحاد السوفيتي على السماح بهجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ٠

وفي ابان حرب تشرين وبرغم تحفظات الصهيونية وكيانها على سياسة الوفاق وعلى التعبيرات التي اتخذتها السياسة الاميركية تجاه قضية الشرق الاوسط ، فانها لم تكن قد استنفدت كل اغراضها من نكسون وسياسته ٠

قبل تشرين كان التلويح الصهيوني بووترغيت يشكل اداة ابتزاز وضغط اضافية بيد الصهيونية تدفع من خلالها ادارة نكسون الى تقديم المزيد من المساعدات العسكرية والمالية للكيان الصهيوني ، وابان حرب تشرين وبعدها وبسبب المصالح الستراتيجية الاميركية وانسجاما مع السياسة الاميركية التقليدية وبدفع ، خاص ، من الصهيونية حصل الكيان الصهيوني على مساعدات عسكرية ومالية ضخمة ٠

وفي المرحلة التي اعقبت حرب تشرين ، وفي الوقت الذي كانت تعاني اسرائيل من اثر صدمة الحرب فان سياسة نكسون تجاه المنطقة العربية كانت ، في بعض جوانبها ، مفيدة للصهيونية لانها ، من خلالها ، تستطيع ان تكسب الوقت لاعادة ترتيب اوضاعها السياسية الداخلية وتعزيز قدراتها العسكرية ، ولان تلك السياسة – بسبب الطريقة الغبية التي تعاملت بها بعض الاوساط العربية الحاكمة – قد ادت بالفعل الى تقليل اليقظة والحشد العربي والى تأزيم الكثير من التناقضات في الساحة العربية والى تدهور في العلاقات بين بعض البلدان العربية والاتحاد السوفيتي ، والى تعزيز مواقع الرجعية العربية حليفة اميركا ٠ غير ان الصهيونية التي تخطط بعيدا ، وبالرغم من استفادتها من سياسة نكسون لكسب الوقت فانها ، من خلال المؤسسة الصهيونية في داخل الولايات المتحدة ، لم تسقط كل تحفظاتها على نكسون وسياسته وكانت تضع مسالة « ووترغيت » الى جانب اسلحتها ووسائلها الاخرى احتياطيا لمجابهة نكسون عندما يحين الوقت المناسب ٠

وبالنسبة للصهيونية فانها بعد ان حققت فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية وبعد ان انضجت الى حد كبير مسالة فصل القوات على الجبهة الاردنية ولم يعد امامها ظروف عسكرية صعبة كما كان عليه الحال بعد حرب تشرين الاول ٠٠ ان الصهيونية ، في هذا الوقت تجد ان الاطاحة بنكسون امر مناسب لكي يذهب وتذهب معه التزاماته قبيل انعقاد مؤتمر جنيف الذي ستطرح فيه بصورة مباشرة مسالة الانسحاب والاوضاع المقبلة في الضفة الغربية ! ٠

ففي جنيف ٠٠ ترى اسرائيل ان غياب نكسون افضل لها من بقائه ٠٠ خاصة اذا كان على رأس الولايات المتحدة رئيس جديد لم يعط وعودا للعرب وللسوفيت واذا كان ، ايضا ، صديقا حريصا على تقديم الولاء والعون !! ٠٠

اما المؤسسة الرأسمالية – العسكرية الاميركية فانها تجد نفسها اليوم في اوضاع افضل ٠ فالمسالة الفيتنامية اصبحت اقل انفجارا واقل كلفة لاميركا ٠٠ واوربا وبفضل مواقف الرجعية العربية وعلى رأسها السعودية وبسبب السياسات المنحرفة والموجهة من قبل اميركا التي اتبعت في معالجة مسالة النفط ابان حرب اكتوبر وبعدها ٠٠ اوربا فقدت الكثير من مواقعها المستقلة في مواجهة السياسة الاميركية واصبحت اكثر اضطرارا الى الانسياق وراء السياسة الاميركية ، ومن مظاهر ذلك التغييرات السياسية في اهم البلدان الاوربية وهي بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ٠٠

لذلك فان المؤسسة الرأسمالية – العسكرية الحاكمة في اميركا لم تعد تجد من المناسب استمرار مدى وحجم وكيفية وادارة الوفاق التي مثلها نكسون عندما كان ذلك ضرورة لها واختبارا تبحث من خلاله عن فرص افضل وعن كسب للوقت لتجاوز ازمات وظروف صعبة ٠

وهنا فان من مصلحة المؤسسة الرأسمالية – العسكرية الاميركية ان يذهب نكسون ٠٠

وعندما تلتقي ارادة المؤسسة الرأسمالية – العسكرية والمؤسسة الصهيونية – وهما مؤسستان متداخلتان ومتشابكتان – على امر فانهما تكونان قادرتين على عمل ما تريدان ٠٠ لقد التقت مصلحتهما وارادتهما على ازالة نكسون والتخلص من التزاماته التي فرضتها ظروف معينة فرحل نكسون ! ٠

والان هل يعني ذهاب نكسون تغيير في السياسة الاميركية ؟ ! ٠٠ قبل كل شيء يجب ان نعرف انه بصرف النظر عمن يكون في البيت الابيض وفي وزارة الخارجية الأميركية فان اميركا تبقى دولة استعمارية رأسمالية عدوانية ٠٠ وتبقى عدوة العرب الاولى والعدوة الاولى للشعوب الطامحة الى التحرر والتقدم ٠٠ هذه مسالة يجب ان لانخطىء فيها اطلاقا ٠٠ ومن هذه الزاوية لن يكون هناك تغيير في السياسة الاميركية ٠٠

ولكن بقدر ما يتعلق الامر بسياسة الوفاق الدولي وبمواقف نكسون من قضية الشرق الاوسط وهي ، من حيث الجوهر ، لا تتناقض بشكل اساسي مع طبيعة اميركا ومع مصالحها واستراتيجيتها سيكون هناك ، بالتاكيد ، تغيير ، والا فلماذا اجبر نكسون على الاستقالة ؟ ! ٠٠

ولكن التغيير في سياسات الدول الكبرى لا يتم ، دائما ، باساليب سريعة ومباشرة ودراماتيكية ٠ فالتغيير ، هنا ، يأخذ مجراه عبر سلسلة طويلة ومعقدة من المواقف الكبيرة والصغيرة ، الاساسية والتفصيلية ، ويمتد عبر مرحلة زمنية معينة ٠

ومن مصلحة اميركا ، في الوقت الحاضر ، تجنبا لردود الفعل من جانب الاتحاد السوفيتي ومن جانب العرب ومن جانب المجتمع الدولي ان تؤكد انه لن يكون هناك تغيير في السياسة الخارجية وان المسالة هي مسالة داخلية وهذا ما حرص على تاكيده الرئيس الجديد فورد وهذا ما يعنيه الابقاء على كيسنجر في منصب وزير الخارجية ٠٠ ولكن هذا التاكيد نفسه يكشف الحقيقة بقدر ما يحاول المسؤولون الاميركان الجدد تغطيتها ٠٠

لقد انتهت مرحلة ٠٠ وانتهى اختبار في السياسة الاميركية وبدأت مرحلة جديدة واختبار جديد ٠

وهنا لابد من التطرق الى مسالة رهان بعض الاوساط العربية الحاكمة على نكسون ٠ فمن المعروف ان اوساطا عربية رسمية عديدة كانت قد راهنت منذ وقت طويل وبخاصة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) على شخص الرئيس الاميركي السابق وعلى شخص وزير خارجيته هنري كيسنجر بحجة انهما يمثلان « تغيرا » في السياسة الاميركية تجاه مسالة الصراع العربي – الصهيوني ، وبحجة انهما يسعيان بصورة جادة ، كما كانت تصور تلك الاوساط ، للوصول الى ما تدعوه بالحلول السلمية للصراع القائم ٠

وقد بلغ رهان الاوساط الرسمية العربية على الشخصيتين الاميركيتين (نكسون وكيسنجر) حدا جعل تلك الاوساط تتحدث وتتصرف كطرف منحاز الى نكسون في النزاعات الداخلية الاميركية التي نشات عن فضيحة « ووترغيت » ، كما جعلها تلبي الكثير من طلباته الخاصة ، اضافة الى طلبات اميركا كدولة في محاولة منها لتدعيم موقفه الشخصي داخل الولايات المتحدة ، ومن ذلك الاستقبال غير الاعتيادي لنكسون في القاهرة والتنفيذ السعودي السريع لطلبات نكسون بشأن زيادة انتاج النفط وتخفيض اسعاره وغير ذلك من المواقف ٠

ولقد كان لنا ، منذ البداية ، رأي واضح في هذا الموضوع خلاصته ان موقف الامبريالية الاميركية تجاه العرب لم يتغير من حيث الجوهر وان كنا لاننفي اتخاذه بعد حرب تشرين الاول اشكالا وتعبيرات جديدة بحكم الظروف والتطورات المستجدة ، كما كان من رأينا ايضا ان مادعي بالتغيرات الجديدة في الموقف الاميركي التي مثلها نكسون وكيسنجر لم تشكل ، في الواقع انعطافا كافيا ينفي التناقض الحاد بين الامة العربية من جهة وبين الامبريالية من جهة اخرى فلقد بقيت اميركا كما كانت قبل حرب تشرين الاول واثناءها الحليف الاول والاساسي للصهيونية ولعدوانها واغتصابها الموجهين ضد العرب ، كما ان الوعود التي روجت على لسان نكسون وكيسنجر حول الانسحاب الصهيوني وتطبيق قرارات مجلس الامن لم تثبت القدر المتوقع من الجدية والفاعلية حتى في عهد ادارة نكسون ، برغم مضي ما يزيد عن تسعة اشهر بين وقف اطلاق النار واستقالة نكسون ٠٠ لهذه الاسباب لم نكن ننظر بعين الجدية الى رهان الاوساط الرسمية العربية على شخص نكسون وكيسنجر وكنا نعتبر هذا الرهان ، حتى ولو افترضنا حسن النية فيه ، عملا لا شأن مهما له في استرجاع الحقوق العربية ، ٠٠ وكنا نؤكد على ان الموقف السليم هو ان يصار الى عمل جاد تتظافر فيه الطاقات العربية في اطار برنامج كفاحي قومي جاد وطويل الامد يستهدف ضرب المصالح الامبريالية بشكل جذري والنضال ضدها وضد العدوان الصهيوني بكل السبل ، وكنا نعتبر ذلك الطريق الوحيد الذي يؤدي ، فعلا ، الى ارغام اميركا ، كل اميركا ، وبصرف النظر عمن يكون على رأسها على اعادة صياغة موقفها من الامة العربية بما يمكننا من استرجاع ما يمكن استرجاعه من الحقوق العربية في اطار هذه المرحلة ، وبدون التفريط بأي حق تاريخي لا يمكننا الحصول عليه الان ٠٠ والتنازل عنه ٠

ولا نظلم احدا اذا قلنا ان الذين كانوا يراهنون على نكسون وكيسنجر كانوا يصورون موقفهم ذاك على انه ((عين البراعة السياسية)) وكانوا يصمون منتقدي سياستهم تلك بالجهالة السياسية ٠٠ ولكن الوقائع اثبتت مرة اخرى ان ذلك الموقف لم يكن فيه من ((البراعة السياسية)) شيء ، فلقد كبا الحصان الذي راهنوا عليه بأسرع مما كان يتوقع حتى اخصامه ٠٠ كما اثبتت تجربة العلاقة بين الاوساط الرسمية العربية المذكورة وبين نكسون على أن نكسون هو الذي كان يستفيد من مراهنتهم عليه لتدعيم وضعه الداخلي ، بينما لم تستفد الاوساط الرسمية العربية من ذلك شيئا يذكر ، وخسرت كل ما وضعته في عملية الرهان ٠

ومنذ عدة عقود من الزمن كانت مسالة ((البراعة السياسية)) تطرح ، في الاوساط الرسمية العربية ، كبديل عن الحلول والمواقف الوطنية والقومية الثورية ٠ وكانت المواقف الوطنية والقومية الثورية توصم بالتطرف والجهالة السياسية وما شاكلها من الاوصاف ٠٠ ولكن وقائع التاريخ العربي الحديث كله اثبتت ان كل فرسان ((البراعة السياسية)) كانوا يصلون ، بعد حين ، الى شفير الافلاس السياسي ، وها هي نتائج اخر تجربة من هذه التجارب ٠

ان الموقف « البارع » في وطننا العربي وفي ظروف تطور امتنا الراهن وفي ظل التحديات والمهمات الكبيرة التي تواجه امتنا وقواها التحررية هو الموقف القومي التحرري والتقدمي الصلب الذي يستند بالدرجة الاولى الى الطاقات العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية والبشرية ويزجها بكفاءة في معركة جادة وطويلة الامد ضد الامبريالية الاميركية ومصالحها في المنطقة وضد الصهيونية ٠

هذا هو الموقف الذي يوصل الى الهدف والذي يعبر عن ((عين الحكمة والبراعة)) اما المواقف السياسية من امثال المراهنة على نكسون وكيسنجر والتي يروج لها الرجعيون المرتبطون بالامبريالية والموظفون الفاسدون في الادارات الحاكمة في بعض الاقطار العربية فانها لم تنته الى الانحراف عن الخط الوطني والقومي السليم فحسب ، وانما اثبتت انها مواقف مبتذلة وليس فيها من « البراعة » شيء ٠٠ ولحسن الحظ فان حبلها هذه المرة ، كحبل الكذب ، كان قصيرا ٠٠ بل قصيرا جدا ٠

